العرب
الجمعة 2020/01/31
السنة 42 العدد 11603



# ترجمة الشعر العربي إلى اللغات الأخرى محكومة بالعلاقات الشخصية

## شعراء شمال أفريقيا ضحايا الترجمة العشوائية إلى اللغات الأجنبية

بين حين وآخر تصدر مختارات شعرية خاصة ببلد عربي أو فئة أو جيل، ولكن قراءها يصدمون إذا ما رأوا حضور أسماء بلا منتج وغياب أسماء منتجة ومؤثرة، فالأنطولوجيات هي في أغلبها وليدة الصداقات والعلاقات والشلل، ولا معيار أدبيا لها، وهذا ما يظهر حتى في الأنطولوجيات التي تنشر للشعر العربي مترجما إلى لغات أخرى، حيث لا تقدم لقراء تلك اللغة الوجه الحقيقي للشعر أو الأدب العربي.

أزراج عمر
كاتب جزائري

منذ عدة سنوات أرسل إلي زميل صحافي وأديب لبناني، وهو جاد الحاج، من أستراليا نسخة من أنطولوجيا الشعر العربي الحديث المترجمة إلى اللغة الإنجليزية من طرف مستعربة أسترالية، ولاحظت حينذاك أن عددا من قصائد أهم الشعراء العرب في شمال أفريقيا وفي الشرق الأوسط غير متوفرة في تلك الأنطولوجيا.

وأعتقد أن اختيار القصائد المنشورة فيها لم يخضع لمعيار التمثيل الشعري الحقيقي لأجيال الشعراء وللمراحل التي مر بها الشعر العربي الحديث في مختلف أقطارنا، بل إن عملية الانتقاء تلك قد ركزت أكثر على قصائد نخبة معينة ومكرسة من شعراء المشرق العربي بشكل مفرط، مع إهمال لتجارب شعراء شمال أفريقيا.

### الصداقات قبل الأدب

يبدو واضحا أن معظم أنطولوجيات الشعر العربي التي ترجمت إلى اللغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والروسية قد تمت على أساس العلاقات العامة وليس على أساس الاستحقاق الإبداعي المختلف والمجدد.

وبمعنى آخر فإن للسياسة دخلا في عملية انتقاء الشعراء حينا وحينا آخر فإن العلاقات الشخصية ونفوذ البلد الأدبي لهما ضلع في تلك العملية، وهو الأمر الذي جعل حضور الشعر العربي في اللغات الأجنبية انتقائيا وغير مؤثر في الوقت نفسه في بانوراما الحساسية الشعرية في الدول الأجنبية التي ترجم إليها.

وخلال الأسابيع القليلة الماضية اطلعت على عدد من أنطولوجيات الشعر الأفريقي الصادرة باللغة الإنجليزية ببريطانيا وأميركا عن دار نشر لين راينر، وأدهشني أنها لا تزال تواصل تكرار نفس الخطأ. من بينها أنطولوجيا "الشعر الأفريقي الجديد" الصادرة ببريطانيا وأميركا على نحو متزامن، وهي من إعداد وتحرير تنور أوجابيد وتيجان صلاح وترجمة عدد متنوع من المترجمين.

إلى جانب مختارات لشعراء من الدول الأفريقية السمراء فقد احتوت هذه الأنطولوجيا على قصائد من تونس والمغرب ومصر والسودان، وليس هناك ذكر لأي شاعر جزائري أو موريتاني أو ليبي علما أن الجزائر وليبيا وموريتانيا تنتمي إلى شمال أفريقيا أيضا.

وزيادة على ذلك فإن حصة الأسد قد منحت للجيل الثالث من شعراء مصر وعددهم أربعة شعراء، في حين اكتفى معدا ومحررا الأنطولوجيا المذكورة بنشر قصيدة واحدة للشاعر السوداني الراحل محمد عبدالحي وسبعة قصائد للشاعرين التونسيين وهما محمد الغزي وأمينة سعيد، وقصيدتين للشاعرين المغربيين محمد بنيس ورشيدة مدني.

وفي الحقيقة فإن لتونس والمغرب والسودان والجزائر وليبيا وموريتانيا شعراء آخرين مهمين وربما أكثر تمثيلا للحداثة الشعرية العربية في الفضاء المغاربي ولا أحد يدري لماذا تم تجاهل شعراء الجزائر وموريتانيا وليبيا بشكل مطلق؟ ولماذا وقع الاختيار على شاعر واحد من السودان وشاعرين من المغرب وشاعرين من تونس فقط؟

الأولوية للأقرب لا للأجدر (لوحة للفنان بسيم الريس)

### اختيار عشوائي

من المعروف أن ترجمة شعر شعراء أي بلد تعني في العمق تقديم التجربة الثقافية والروحية لذلك البلد أو ذاك البلد الآخر لقراء اللغة التي ترجم إليها ذلك الشعر، ولذلك فإنه لا يمكن أن يحتكر هذا الشاعر أو ذاك الشاعر الآخر، ومهما كان عمق موهبته وفرادة تجربته الشعرية، التمثيل الجامع والمانع لتلك التجربة الروحية الكلية التي هي في الواقع انعكاس لتراكم التجربة الشعرية لمختلف عطاءات الأجيال الشعرية الموهوبة التي أنجبها هذا البلد أو ذاك البلد الآخر.

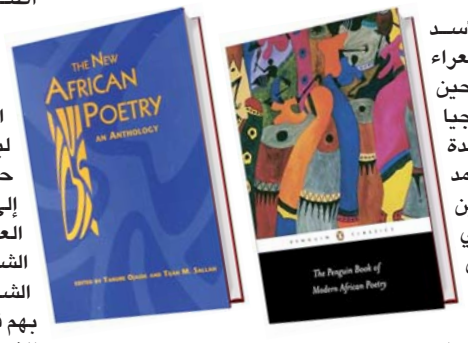


صحيح أيضا أن ترجمة الشعر من لغة أخرى هي فعل صداقة مع الثقافات الأجنبية ومخيال شعوبها، كما أن مترجم الشعر يدرك منذ البداية أنه مورّط في شبه خيانة للأصل، وأن النص الجديد الذي يضعه على الورق هو ملحق لذلك الأصل فقط، ويدرك أيضا أن النصوص الأصلية ذاتها هي مجرد ملحقات للحياة التي عندما نقترب من أصلها يكون الموت قد اقترب منا. وبعبارة أخرى فإن ترجمة الشعر هي فعل تقريب ظلال المعاني وسديم العوالم الأكثر غرابة والكشف عن الصياغة الداخلية التي تتضمنها وتعطيها وجودها المتفرد.

ولكن المشكلة التي تطرحها هذه الأنطولوجيا ليست مختزلة في قضية القدرة على الوفاء لأصالة هذه القصيدة أو تلك القصيدة الأخرى، بل هي تتصل جوهريا بأخلاقيات احترام تراتبية وتنوع التجارب الشعرية في هذه الدولة أوتلك.

من الواضح أن هذه الأنطولوجيا التي نناقشها هنا تدعي أنها "تقدم أصوات الجيل الجديد من الشعراء الأفارقة عبر القارة بأسرها وتظهر معالم واسعة من الموضوعات والأساليب والأيديولوجيات"، ففي الواقع فإن شعراء مصر هؤلاء ليسوا كلهم من جيل السبعينات حيث أن أمل دنقل ينتمي زمنيا إلى جيل شعراء الستينات من القرن العشرين ونفس الشيء يقال بخصوص الشاعر أحمد طه، وفضلا عن ذلك فإن الشعراء المصريين الآخرين المحتفى بهم في هذه الأنطولوجيا هم أقل تمثيلا للشعرية المصرية مقارنة بشعراء مصريين آخرين لعبوا دورا مهما في ترسيخ الشعر الحديث وقد برزوا بعد جيل الرواد بزعامة صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرهما، أمثال إبراهيم أبوسنة.

أما الأنطولوجيا الثانية التي أصدرتها دار بنجوين البريطانية الشهيرة في عدة طبعات وأشرف على تحريرها جيرالد مور وأولي باير فتحمل عنوان "كتاب بنجوين للشعر الأفريقي الحديث"، ويلاحظ أنها تقصي شعراء جميع بلدان شمال أفريقيا وتكتفي بشعراء دول أفريقيا السوداء.

> معظم أنطولوجيات الشعر العربي التي ترجمت إلى اللغات الأجنبية تمت على أساس العلاقات العامة لا الاستحقاق الإبداعي

ولا شك أن خيار دار بنجوين لا يستند إلى الجغرافيا وإنما محدد بمفهوم أفريقيا الزنجية الذي هو معيار عرقي أكثر مما هو معيار إثني مشروط ومدعم بالتعددية الثقافية والإثنية في الفضاء الجغرافي الكلي لقارة أفريقيا.

إن الاختيار العشوائي لأنطولوجيات الشعر العربي أو لشعر شعراء شمال أفريقيا يحتاج إلى التدخل النقدي لدى دور النشر الغربية التي تقوم بمثل هذا العمل السلبي وذلك لتصحيح الموقف كما ينبغي أن يقودنا إلى طرح هذا السؤال: أليست اتحادات كتابنا ووزارات الثقافة ببلداننا التي تتنزه على مثل هذه العشوائية طرفا مسؤولا عن التمثيل السيء لتجاربنا الشعرية في مثل هذه الأنطولوجيات وغيرها؟

# معرض القاهرة للكتاب يحتفي برواد الأدب والفن

القاهرة – قدم معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الجارية والمستمرة حتى الرابع من فبراير القادم، العديد من الندوات التكريمية والاستذكارية لأهم الرموز الفنية والأدبية المصرية، فقد تناول في ثلاث ندوات تجارب كل من الشاعر عبدالرحمن الأبنودي والقاص سليمان فياض والسينمائي فريد شوقي.

أولى الندوات كانت حول الأبنودي وكان مدخلها الأثنوغرافيا، وهي أحد فروع علم الإنسان وتهتم بوصف للأعراق البشرية، أي وصف لأحوال البشر، ورصد ثقافات الناس المختلفة ومعرفة سلوكياتهم الاجتماعية، وتحظى الإثنوغرافيا الأدبية اليوم باهتمام كبير على مستوى العالم، ومن تجليات هذا الاهتمام خصصت إدارة معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الحادية والخمسين محورا خاصا لمناقشة العلاقة بين الإبداع والإثنولوجيا، وخصصت أولى ندوات هذا المحور للشاعر عبدالرحمن الأبنودي.

تحدث في الندوة الناقد أحمد مجاهد، رئيس قسم النقد والدراما بكلية الآداب جامعة عين شمس، والباحث خالد أبوالليل، أستاذ الأدب الشعبي بجامعة القاهرة، فتناولا مشوار الشاعر الراحل عبدالرحمن الأبنودي، وعرضا لمنجزه الذي أثرى الحياة الأدبية والثقافية، وأدار الندوة الصحافي والباحث ياسر الغبيري.

وبيّن أحمد مجاهد أن الأبنودي أيقونة إثنوغرافية بامتياز، فهو لم يصطنع اللهجة الصعيدية، وإنما كانت جزءا من تكوينه الشخصي، فلم يستطع التخلص من لهجته الصعيدية التي لازمته في كل أعماله. كما أن الأبنودي أكثر شعراء العامية شعبية في عالمنا العربي وأكثرهم استفادة من التراث الشفاهي وأدب الملاحم، ودلل مجاهد على ذلك بدوره في جمع السيرة الهلالية وتراث الشاعر الشعبي ابن عروس من تونس.

وقال خالد أبوالليل إن الأبنودي نقل الشعر إلى مرحلة أخرى حيث أدخل الشعر العامي بيوت الشعب المصري. وهو يرى أن مكانته لا تقل عن بيرم التونسي وفؤاد حداد وصلاح جاهين، إذ كانت للأبنودي إسهاماته الهامة في العامية المصرية، كما كان واحدا من المثقفين الذين كانوا مثل الممر العابر بين هزيمة 1967 ونصر 1973، فأسهموا في استعادة المصريين للثقة في الذات.

واحتفل معرض القاهرة الدولي للكتاب كذلك بالذكرى الخامسة لرحيل القاص والناقد المصري سليمان فياض (فبراير 1929 – فبراير 2015)، وذلك بتخصيص ندوة لمناقشة منجزه الأدبي ضمن محور "الأدب والإثنوغرافيا"، وأدارت الندوة صفية فرجاني، التي قدمت في كلمتها سيرة موجزة للراحل، بوصفه كاتبا وباحثا لغويا كتب مادة أهم برامج اللغة العربية في الإذاعة المصرية، وأبدع أكثر من سبعين كتابا، وقد أمضى عمره مدافعا عن القيم الرفيعة، وتجسد ذلك في حياته كشخص وفي أعماله كأديب.

وتنهدت صفية فرجاني بأسى، قائلة "رغم هذا العطاء الثري والمتميز إلا أن حظه كان قليلا بالنسبة للدراسات العلمية والنقدية فلم يعطه النقد ما يستحق من اهتمام. إلا أن الجوائز أنصفته فنال في حياته عددا من التكريمات، بالإضافة إلى العديد من الجوائز والأوسمة منها جائزة الدولة التشجيعية في الآداب عام 1970، وجائزة الشاعر سلطان العويس عام 1994 في حقل القصة، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 2002".

وأوضح الناقد حمدي سليمان أن أدب سليمان فياض يعتبر أدبا إثنوغرافيا بامتياز، وخصوصا روايته القصيرة "أصوات". معبرا عن حزنه من عدم تكريم فياض بالشكل الذي يليق به قبل رحيله، وأرجع ذلك لأنه كان يعتز بنفسه وليست له شلة بين المثقفين والصحافيين، بينما كان معاشه لا يفي بتكلفة الأدوية، وقد كتب فياض ذلك على صفحته بالفيسبوك قبل رحيله بأيام.

وأشار الناقد والأكاديمي محمد عبدالعال إلى أن فياض أجاد التعبير عن مجتمعه وإثارة قضاياه من خلال براعته في التقاط التفاصيل، فالناس في قصصه الأولى فقراء مهانون، يقيدهم التخلف والخرافة، وقصصه جاءت ملتصقة بحياته وذكرياته وتحمل دلالات عميقة.

وبمناسبة مرور مئة عام على ميلاد الفنان الراحل فريد شوقي، نظم معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الحالية ندوة شهدتها قاعة المقهى الثقافي بعنوان "مئوية فريد شوقي"، حضرها الفنان سمير صبري وابنتا الفنان الراحل الممثلة رانيا فريد شوقي والمخرجة عبير فريد شوقي.

بدأت الندوة بعرض مجموعة لقطات لمجموعة من أفلام الفنان فريد شوقي، ثم تحدث سمير صبري منطلقا من ذكريات أثارها مشهد تم عرضه من فيلم "وبالوالدين إحسانا" الذي تم عرضه في القاعة، فذكر أن الفنان فريد شوقي هو الذي اختاره ليمثل دور الابن رغم اعتراض بل وسخرية أحد منتجي الفيلم.

> الأبنودي حافظ على «صعيديته» وفياض ترك 70 كتابا لكنه لم يجد حق الدواء أما شوقي فكان «أبوالبنات»

وأوضح أن من تبنى فريد شوقي هو الفنان أنور وجدي وأنه كان يحبه بشدة وأعطى له العديد من الأدوار مثل "زوج مراتي" مع الفنانة صباح، وكانت بدايته في السينما فيلم "ملاك الرحمة"، وهو ما حدد له اتجاهه لأدوار الشر والتي اشتهر بها بكلمة "بشرف أمي"، وبعدها تمرد فريد شوقي على أدوار الشر وأصبح "ملك الترسو". ثم أنتج أول فيلم له وهو "الأسطى حسن" وتلته العديد من الأفلام التي أنتجها وأبرزها "حميدو"، "جعلوني مجرما" وكان هذا الفيلم نقلة كبيرة للفيلم الاجتماعي الذي يعالج قضية.

وبدأت الفنانة رانيا فريد شوقي حديثها بتوجيه الشكر لإدارة معرض القاهرة الدولي للكتاب لاحتفاله بمئوية الفنان الملقب بأبوالبنات، وأضافت أنه كان يحب هذا اللقب لأنه كان يحب بناته جدا، لدرجة أنه لم يتمن إنجاب الولد.

أما المخرجة عبير فريد شوقي فأكدت أن والدها كان حريصا على أن تحمل أفلامه رسالة ما، وهذا ما حدث فقد أدت أفلام مثل "حميدو"، "كلمة شرف"، "جعلوني مجرما" وغيرها، إلى إجراء تعديلات في القانون المصري، وذكرت أنه لم يوجه بناته للفن، وأيضا لم يعترض على اختيارهن له.

نقاد يتناولون تجربة سليمان فياض